ملامح التفسير الموضوعي عند ابن جزي في تفسيره التسهيل

خولة "محمد رجا" طلوزي* أ.د. عبد الله أحمد الزيوت**

تاريخ وصول البحث: 2025/2/12م تاريخ قبول البحث: 2025/4/27م

الملخص

تتناول هذه الدراسة ملامح التفسير الموضوعي من خلال كتاب "التسهيل لعلوم التنزيل" لابن جزي الكلبي، وذلك بهدف بيان مدى تطابق ما ذكره مع التفسير الموضوعي بمفهومه المتأخر، وخطواته المنهجية ، وما له وما عليه.

ولتحقيق هذه الأهداف سلك الباحثان المنهج الاستقرائي في جمع النماذج التي يُعتقد أنها من التفسير الموضوعي في تفسير ابن جزي، ومن ثم المنهج المقارن للمقارنة بين هذه النماذج وبين التفسير الموضوعي بمفهومه الحديث، ومن ثم المنهج التحليلي والنقدي، وتوصل إلى مجموعة من النتائج كان من أبرزها:

إنّ تناول ابن جزي للتفسير الموضوعي لم يكن مفصلًا أو ممنهجًا على نحو ما يُعرف في الدراسات المعاصرة، بل جاء بصورة مجملة دون تقسيم دقيق أو معالجة تحليلية مستقلة.

ومع ذلك كان من أسبق المفسرين الذين جمعوا الآيات القرآنية في موضوع واحد إلى نوع من الجمع والتقسيم المنظم للموضوع القرآني؛ إذ قدّم عناوين محددة للموضوعات، واستعرض الآيات ذات الصلة بها، وظهر ذلك في أربعة موضوعات رئيسة :التقوى، الصبر، التوكل، وصفات بني إسرائيل في القرآن الكريم.

الكلمات الدالة:

نشأة – التفسير الموضوعي – ابن جزي – التسهيل لعلوم التنزيل.

* باحثة

** أستاذ دكتور، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية

The Features of Objective Interpretation According to Ibn Juzayy in his Tafsīr "Al-Tashīl"

Abstract

Objective: This study examines the features of objective interpretation through the book " Al-Tasheel li'Uloom al-Tanzeel " by Ibn Juzayy al-Kalbī. It aims to demonstrate the extent to which his approach aligns with the later conceptualization of objective interpretation, including its methodological steps, characteristics, and applications.

Methodology: To achieve these objectives, the researchers used an inductive approach to collect examples considered to represent objective interpretation in Ibn Juzayy's tafsīr. They then employed a comparative approach to analyze these examples against the modern concept of objective interpretation, followed by analytical and critical approaches.

Results: The study reached several conclusions, the most prominent being that the first emergence of a structured form of objective interpretation of Quranic subjects—in terms of using a title, listing related verses, and organizing them—appeared in Ibn Juzayy's tafsīr. This is exemplified in four subjects: piety, patience, trust, and the attributes of the Children of Israel in the Qur'an.

Recommendations: The study recommends further examination of classical tafsīr works to identify other early models of objective interpretation.

Keywords: Origin, Objective Interpretation, Ibn Juzayy al-Kalbī, Al-Tasheel li'Uloom al-Tanzeel.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد؛

فإن شرف العلم من شرف المعلوم، ولما كان علم التفسير يتعلق ببيان المراد من كلام الله تعالى، كان هذا العلم أشرف العلوم، وقد قام هذا العلم على تفسير ما يحتاج إلى بيان، وكان في الأعم الأغلب يقوم على الرواية، إلى أن ظهر الجمع بين الرواية والدراية، إلى أن تعددت أنواع التفسير وتعددت أساليبه.

وقد كان من منهج جمهور المفسرين تفسير القرآن بحسب الترتيب المصحفي سورة سورة وآية آية، وجروا على هذا المنوال حتى وقتنا المعاصر، فهم لا يجمعون الآيات ذات الموضوع الواحد في مكان واحد، ثم ظهر التفسير الموضوعي الذي يقوم على جمع آيات الموضوع الواحد في القرآن الكريم ثم دراستها وفق الموضوعات المتفرعة عنها دون الالتزام بترتيب المصحف.

وبما أن التفسير الموضوعي نتاج العصر نشأة ومفهومًا ومصطلحًا ومنهجية فإن المفسرين المتقدمين لم يتكلموا عن ألوانه وخطواته وقواعده، ولكن المتأخرين أقبلوا عليه وجعلوا له ألوانًا وقواعد وخطوات ومنهجية.

واختلفوا في نشأة التفسير الموضوعي، واعتبروا تفسير القرآن بالقرآن من بذوره، وآخرون اعتبروا جمع الآيات ذات الموضع الواحد من التفسير الموضوعي.

ومن هنا تأتي هذه الدراسة لتبحث عن نموذج تطبيقي للتفسير الموضوعي في كتب التفسير، ووقع الاختيار على تفسير "التسهيل لعلوم التنزيل" لابن جزي حيث ظهر عنده بعض النماذج التي تشبه إلى حدّ كبير خطوات الكتابة في التفسير الموضوعي.

مشكلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: ما أبرز ملامح التفسير الموضوعي التي ظهرت عند ابن جزي في تفسيره "التسهيل في علوم التنزيل"؟ ويتفرع عنه الأسئلة الآتية:

-من هو ابن جزي الكلبي، وما كتابه "التسهيل"؟

-ما المقصود بالتفسير الموضوعي؟

-ما الموضوعات المشابهة للتفسير الموضوعي التي ذكرها ابن جزي وضمنّها تفسيره؟

-ما أبرز الخطوات المنهجية في التفسير الموضوعي التي ظهرت من خلال التسهيل؟

-ما أوجه الاتفاق والاختلاف بين الخطوات المنهجية التي ظهرت عند ابن جزي وبين الخطوات المنهجية المعاصرة؟

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية الدراسة من خلال النقاط التالية:

-إن جمع الموضوعات القرآنية الذي قام به ابن جزي في تفسيره، وما أجراه من تقسيم لها على نحو يُشبه التفسير الموضوعي في صورته المعاصرة، ودراستها دراسة علمية، يُسهم – ولو بقدر يسير – في إثراء المكتبة الإسلامية، وإبراز ملامح تطوّر التفسير الموضوعي.

-إنّ الكشف عن ملامح التفسير الموضوعي في تفسير ابن جزي، وإبرازها في دراسة مستقلة يفيد الباحثين في نشأة التفسير الموضوعي خاصة، وطلبة علم التفسير عامة.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق ما يلي:

-التعريف بابن جزي الكلبي، وتفسيره التسهيل.

-تعريف التفسير الموضوعي.

-الوقوف على الموضوعات المشابهة للتفسير الموضوعي التي ذكرها ابن جزي وضمّنها تفسيره.

-محاولة الكشف عن أبرز الخطوات المنهجية في التفسير الموضوعي التي ظهرت من خلال التفسير.

-بيان أوجه الاتفاق والاختلاف بين الخطوات المنهجية المعاصرة، وبين الخطوات المنهجية التي ظهرت في التسهيل.

حدود الدراسة:

تنحصر هذه الدراسة في تفسير التسهيل لابن جزي، وفي الموضوعات المشابهة للتفسير الموضوعي في مفهومه المعاصر.

الدراسات السابقة:

لم نقف –فيما بحثنا –على دراسة علمية تناولت التفسير الموضوعي في تفسير التسهيل لابن جزي، باستثناء دراسة واحدة بعنوان" :**النظرة الموضوعية عند ابن جزي الكلبي من خلال مقدمته وتطبيقاته في التفسير** "للباحثة سلمى داود إبراهيم بن داود، قُدمت في مؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم :واقع وآفاق، جامعة الشارقة، 2010م.

وتجدر الإشارة إلى أن الاطلاع على هذه الدراسة لم يتم إلا بعد الانتهاء من إعداد هذا البحث.

وتُعدّ هذه الدراسة مغايرة في منهجها ومادتها العلمية لدراسة الباحثة سلمى داود، وذلك من عدة وجوه:

-تناولت دراسة الباحثة موضوع "العام والخاص عند ابن جزي"، بينما ركزت هذه الدراسة على الجانب الخاص فقط، مع تقديم أمثلة أكثر وضوحًا، وأقرب إلى مفهوم التفسير الموضوعي في صورته المعاصرة.

-اقتصرت دراستها على مثالين اثنين هما :الصبر والإخلاص، في حين اعتمدت هذه الدراسة على أربعة أمثلة بعد استقراء تفسير *التسهيل* كاملاً، من أوله إلى آخره.

-اقتصر الجانب المقارن في دراستها على موضوع الصبر بين تفسير ابن جزي وإحدى الدراسات المعاصرة، بينما اشتملت هذه الدراسة على مقارنة تحليلية لكل من الأمثلة الأربعة مع نماذج مختارة من الدراسات المعاصرة.

-تناولت دراسة الباحثة موضوع "العام والخاص عند ابن جزي"، بينما ركزت هذه الدراسة على الجانب الخاص فقط، مع تقديم أمثلة أكثر وضوحًا، وأقرب إلى مفهوم التفسير الموضوعي في صورته المعاصرة.

-اقتصرت دراستها على مثالين اثنين هما :الصبر والإخلاص، في حين اعتمدت هذه الدراسة على أربعة أمثلة بعد استقراء تفسير *التسهيل* كاملاً، من أوله إلى آخره.

-اقتصر الجانب المقارن في دراستها على موضوع الصبر بين تفسير ابن جزي وإحدى الدراسات المعاصرة، بينما اشتملت هذه الدراسة على مقارنة تحليلية لكل من الأمثلة الأربعة مع نماذج مختارة من الدراسات المعاصرة.

-إضافة إلى ذلك، فإن المثال الذي اختارته الباحثة بعنوان "الإخلاص "لا يندرج –في نظرنا – تحت نمط التفسير الموضوعي؛ إذ لم يقم فيه ابن جزي بجمع الآيات المتعلقة بالموضوع كما فعل في موضوعات مثل :التقوى، والصبر، والتوكل.

-كما أن تعليقها على موضوع "الصبر "جاء مختصرًا جدًّا لا يتجاوز سطرين، بينما سعت هذه الدراسة إلى تقديم معالجة موسعة وتحليلية لهذا الموضوع وغيره، وفق منهج موضوعي ظاهر المعالم.

كما وجدنا دراسات قريبة في موضوعها من هذه الدراسة، كدراسة الدكتور علي علان بعنوان "تاريخ منهجية التفسير الموضوعي للموضوع القرآني بين الإجمال والتفصيل"

[1]، حيث كان السؤال الرئيس لبحثه: هل لمنهجية التفسير الموضوعي للموضوع القرآني تاريخ سابق على عصرنا؟

وقد توصل الباحث إلى أن الدعوة إلى التفسير الموضوعي ووضع منهجية له؛ وليدة القرن الرابع الهجري، وذلك بعد أن استدل ببعض الأمثلة عند بعض المفسرين كالطبري والرازي وابن كثير، فعرض لمنهجيتهم.

ثم عرض لدراسة ستة مناهج مفصّلة لعلماء معاصرين ونقدها، ليُظهر وجه المفارقة بينهم، ووجه التأثر عند بعضهم، ووجه التأصيل والتأطير عند السابقين، والتفصيل عند المحدثين.

وهذه الدراسة تختلف عن دراسة الدكتور علّان، فهي تنحصر في تناول نماذج قريبة إلى حد ما من التفسير الموضوعي في كتاب "التسهيل لعلوم التنزيل" لابن جزي الكلبي، بهدف بيان مدى تطابق ما ذكره مع التفسير الموضوعي بمفهومه المتأخر وخطواته المنهجية وما له وما عليه تحديدًا دون التعرض لكتب أخرى، مع مخالفة الدكتور علّان فيما ذهب إليه بأن التفسير الموضوعي كانت بداياته وليدة القرن الرابع الهجري.

منهجية الدراسة:

اقتضت طبيعة هذه الدراسة استعمال المناهج الآتية:

الأول: **المنهج الاستقرائي:**

وذلك لاستقراء كتاب التسهيل، وحصر الموضوعات التي تناولها ابن جزي تحت موضوع واحد.

الثاني: **المنهج التحليلي:**

وذلك من خلال تحليل النصوص التي تم جمعها في محاولة لتبيّن إن كانت تدخل تحت مسمّى التفسير الموضوعي.

الثالث: **المنهج المقارن:**

وذلك لمقارنة ما جاء في تفسير ابن جزي بما ذكره الباحثون المعاصرون في التفسير.

خطة الدراسة:

قُسمت هذه الدراسة إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، على النحو التالي:

المقدمة: اشتملت على مشكلة الدراسة وأهميتها وأهدافها والدراسات السابقة ثم المنهج المتبع فيها.

التمهيد: وفيه التعريف بابن جزي وكتابه.

المطلب الأول: مفهوم التفسير الموضوعي، ومنهجية الكتابة فيه.

الأول: مفهوم التفسير الموضوعي.

الثاني: منهجية الكتابة في التفسير الموضوعي.

المطلب الثاني: الموضوعات القرآنية التي تضمنها تفسير ابن جزي.

أولًا: التقوى في القرآن.

ثانيًا: صفات بني إسرائيل في القرآن.

ثالثًا: الصبر في القرآن.

رابعًا: مراتب الناس في التوكل.

المطلب الثالث: المقارنة بين منهجية البحث في التفسير الموضوعي المعاصر، وما جاء عند ابن جزي.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد: التعريف بابن جزي وكتابه.

وفيما يلي تعريف بالمؤلِّف والمؤلَّف.

أولا: التعريف بابن جزي[2]:

اسمه ونسبه: هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد اللَّه بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بن جُزي الكلبي، يكنّى بأبي القاسم، ومعرفة كنيته مما يُحتاج إليه تمييزًا له عن ابنه الكاتب الأديب وجدّه العلامة الوزير، فكل منهما يُعرف بمحمد بن جزي.

نشأته: وُلد سنة (693هـ) في غرناطة بالأندلس، في بيت علم ونبل وأصالة.

نشّأه والده تنشئة حسنة، فتعلم القرآن منذ صغره وتعلم القراءات، وتفقه بمذهب الإمام مالك السائد في بلده، وتتبع مجالس القرآن والفقهاء والعلماء والمحدثين حتى نبغ في شتى العلوم، وتولى الخطابة في الجامع في غرناطة وهو حديث السن.

اتفق الناس على فضله وكرم أخلاقه وتواضعه وزهده في الدنيا والإقبال على العلم وتدوينه وتعليمه، وكان يزاحم العلماء ويجالس الفضلاء من طبقة شيوخه مما يدل على علّو شأنه ورفعة قدره.

كان له الباع الواسع في الأدب واللغة والشعر مما كان أثره واضحًا في فهمه لكتاب الله واشتغاله بالتفسير، وقد ذكر ابن جزي في مقدمة كتابه "التسهيل": وإن الله أنعم عليّ بأن شغلني بخدمة القرآن وتعلّمه وتعليمه... ".

شيوخه: أخذ عن ابن الزبير الغرناطي صاحب "ملاك التأويل" و"البرهان في ترتيب سور القرآن"، وابن الشاط الأنصاري السبتي، وأبو عبد اللَّه بن الكماد، وابن رُشَيد الفهري، والهاشمي الطناجي المالقي، وغيرهم.

تلاميذه: من أشهرهم: ذو الوزارتين لسان الدين الخطيب الأديب الشاعر، وأبو الحسن النباهي القاضي الفقيه، وابن عطية المحاربي، وأبو القاسم الخشاب.

مصنفاته: مصنفاته كثيرة منها:

-في الحديث الشريف: وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم. والدعوات والأذكار المخرّجة من صحيح الأخبار. والأنوار السنية في الألفاظ السنية.

-في التفسير وعلوم القرآن: التسهيل لعلوم التنزيل. وأصول القرّاء الستة غير نافع. والمختصر البارع في قراءة نافع.

-في الفقه وأصوله: تقريب الوصول إلى علم الأصول. والقوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية، والحنفية، والحنبلية.

-وألف في العقائد وعلم النحو والتراجم.

وفاته: بعد حياة حافلة بالعلم والتعليم والتأليف والجهاد في سبيل الله توفي - رحمه اللَّه - شهيدًا يوم الكائنة[3] بطريف سنة (741هـ) بعد أن أبلى فيها بلاء حسنا، تقبل الله شهادته.

ثانيا: التعريف بكتابه:

- "التسهيل لعلوم التنزيل" تفسير مختصر، يقوم على الجمع بين التفسير بالمأثور وبين التفسير بالرأي، واهتمامه بالمأثور أكثر؛ مما أكسبه قيمة علمية جعلته مرجعًا هامًا للباحثين في الدراسات القرآنية. وقد جعله صاحبه في مقدمتيْن منهجيتيْن انفرد بهما عن غيره من المفسرين في طريقة العرض واختيار الموضوعات، حيث جمع المؤلف بين علوم القرآن وتفسيره في مصنف واحد.

- تناول في مقدمة كتابة الأولى جملة من المباحث المتعلقة بعلوم القرآن؛ حوت اثني عشر بابًا، وفي الثانية تناول تفسير معاني اللغات.

- اهتم صاحبه باللغة العربية وعلوم الشريعة الإسلامية، وخلا من الأحاديث الضعيفة والإسرائيليات.
- يستخدم في تفسيره أسلوب السؤال والجواب بشكل بارز من أجل التوضيح ورفع الإشكال.
- اقتصر على القراءات السبع، ولم يذكر الشاذة إلا إذا كان لها أثر في تفسير الآية.
- اهتم بالغريب، وأحيانا يأتي بالإعراب ويوجّه المعنى بناء عليه، ويذكر فوائد بلاغية، وله عناية بالأحكام الفقهية ولم يستطرد في الفروع.
- تأثر ابن جزي بجميع من سبقه من المفسرين، وتأثر بصفة خاصة بتفسير الزمخشري من المشارقة، وبتفسير ابن عطية من المغاربة.
- اعتنى ابن جزي بتحقيق أقوال المفسرين والترجيح بينها، وهو أحد مقاصد تأليف كتابه.
- "له عناية خاصة بدلالة السياق القرآني تأصيلًا وتطبيقًا، وهو من أصول التفسير عنده ووجهًا من وجوه الترجيح بين الأقوال"[4].

منهجه: ليس من غرض البحث الحديث عن منهج ابن جزي في تفسيره، ولكن يمكن القول أن منهجه يقوم على الرأي معتمدًا على المصادر الأصلية، وهي: القرآن، والسنة، وأقوال الصحابة والتابعين واللغة[5].

المطلب الأول: مفهوم التفسير الموضوعي، ومنهجية الكتابة فيه.

أولا: مفهوم التفسير الموضوعي:

1. التفسير الموضوعي مفردًا:

التفسير لغة واصطلاحا:

التفسير لغة: من الفَسْر وهو الاستبانة والكشف. قال الأصفهاني: "الفَسْر: إظهار المعنى المعقول"[6].

وقال ابن منظور: "والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل"[7].

واصطلاحاً: عُرّف التفسير اصطلاحًا بتعاريف متعددة منها الطويل ومنها القصير، ومن أوجزها تعريف الزرقاني الذي يقول فيه: "هو علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية" [8]. وتعريف الشيخ الزرقاني تعريف جامع مانع وأكثر تحديداً لعلم التفسير.

الموضوعي لغة واصطلاحا:

الموضوع لغة: من الوضع، وهو جعل الشيء في مكان ما، سواء أكان ذلك بمعنى الحطّ والخفض[9]، أو بمعنى الإلزام والتثبيت في مكان معين، تقول العرب: ناقة واضعة: إذا رعت الحمض حول الماء ولم تبرح [10].

بناء على التعريف اللغوي يكون"الموضوع": بمعنى الشيء الذي له صفة معينة، وألزم مكانًا معينًا، لايبرحه إلى غيره. وهذا المعنى ملحوظ تمامًا في تقييد التفسير " بالموضوعي" لأنه يلزم المفسر الارتباط بمعنى معين وصفة معينة لا يتعداهما إلى غيرهما حتى يفرغ من تفسير الموضوع الذي التزم به [11] .

2. التفسير الموضوعي مركبًا:

"التفسير الموضوعي" مصطلح معاصر أطلقه الباحثون المعاصرون على الدراسات التي تتناول موضوعًا قرآنيًا محددًا. وقد اختلفت عباراتهم في بيان المراد من هذا التركيب؛ من هذه التعريفات:

-تعريف عواض الألمعي: "جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن المتعلقة بالموضوع الواحد لفظًا أو حكمًا، وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية" [12].

-وعرفه عبد الستار فتح الله سعيد: "هو جمع الآيات الكريمة ذات المعنى الواحد، ووضعها تحت عنوان واحد، والنظر فيها بما يؤلف منها موضوعًا واحدًا مستخرجًا من الآيات الكريمة على هيئة مخصوصة"[13].

-وعرفه عبد المتعال الجبري: أن تُجمع الآيات التي في الموضوع الواحد، ولو كانت في سور شتى، وتؤخذ منها العبرة"[14].

ويلاحظ على هذه التعريفات أنها تحصر التفسير الموضوعي بالموضوع القرآني.

-وعرفه مصطفى مسلم بأنه: "علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر "[15].

وهو ما اختاره محمد عبد العزيز الخضري[16]، وزياد الدغامين[17].

وهذا التعريف يشير إلى تعدد أنواع التفسير الموضوعي.

-وعرفه سليمان الدقور: "هو منهج تفسيري، يبحث في القرآن الكريم بقصد تركيب صورة قرآنية شاملة حول موضوع ما من الموضوعات التي طرقها القرآن الكريم، سواء أكان ذلك لإبرازها في ذاتها، أم لمعالجتها في الواقع" [18].

وهذا التعريف لا يشير إلى تعدد أنواع التفسير الموضوعي.

-وعرّفه سامر رشواني بقوله: "هو الكشف الكلي عن مراد الله عز وجل في قضية قرآنية بحسب الطاقة البشرية" [19].

ومما يلاحظ على التعريفات السابقة وغيرها ما يلي:

-عدم توصّل العلماء إلى تعريف جامع متفق عليه لمعنى التفسير الموضوعي، حيث تعددت التعريفات واختلفت، لأنها نتاج اجتهاد وفكر بشري، ودار معظمها حول تحديد المنهج والطريقة والخطوات الإجرائية للتفسير الموضوعي؛ هذا من جانب، ومن جانب آخر "التداخل والتكرار بين الكثير من تلك التعريفات مما يؤكد أن جلّهم قد نقل عمن سبقه دون إضافة جديدة تُذكر"[20].

-منهم من وصفه بأنه علم، ومنهم من وصفه بأنه منهج، ومنهم من وصفه بأنه طريقة، ومنهم من أدخل فيه أسباب النزول وترتيب النزول والمقاصد، ومنهم من أدرجه تحت (الوحدة الموضوعية للسورة)، ولم يعرّفوه تعريفًا بمفهوم التفسير الموضوعي الذي يميزه عن غيره من أنواع التفسير الأخرى.

-هذه التعريفات لم تحرر المصطلح بطريقة علمية منضبطة، وقد عرفوه بالنظر إلى الموضوع القرآني، ولم يدخلوا فيه الألوان الأخرى للتفسير الموضوعي.

ونظرًا لتعدد هذه التعريفات وتنوعها، فقد اختارت الدراسة التعريف الأخير رغم أنه ليس موضع اتفاق، لكنه الأقرب إلى الصواب، وهو: "الكشف الكليّ عن مراد الله عز وجل في قضية قرآنية بحسب الطاقة البشرية"[21].

ولكن هذا التعريف يخصّ التفسير الموضوعي للموضوع الواحد، لذا فإن الأفضل أن تعرّف بما يشمل أنواعه، ويمكن القول: "**هو الكشف الكلي عن مراد الله عزوجلّ في قضية قرآنية في سورة أو أكثر بحسب الطاقة البشرية**".

ثانيا: منهجية الكتابة في التفسير الموضوعي:

يستند التفسير الموضوعي للموضوع القرآني إلى منهجية علمية خاصة، تتضمن خطوات محددة لضبط الموضوع وتحقيق مقاصده من خلال الآيات القرآنية .وبما أن المقام هنا لا يتسع لعرض هذه المنهجية تفصيلًا، فإننا نحيل القارئ إلى الدراسة العلمية لعلي علان "منهج التفسير الموضوعي للموضوع القرآني"، حيث عرض فيها عدة أقوال في المنهجية وخلص إلى أمرين[22]:

-غالب الجِدّة كانت في العرض، أو في تفصيل اللاحق قضايا مجملة أوردها السابق.

-من السلبيات العامة: الخلط بين خطوات المنهجية العلمية، والشروط اللازمة في الباحث والمبحوث (موضوع الدراسة).

ثم عقّب على ذلك باختيار منهجية جديدة تتلخص بالنقاط التالية[23]:

-تعيين الموضوع وبيان أهميته.

-جمع الآيات ذات العلاقة بموضوع الدراسة.

-ترتيب الآيات حسب النزول ما أمكن.

-تفسير الآيات مع التركيز على سبب النزول وصحيح المأثور.

-الكشف عن مناسبة آيات الموضوع في كل سورة، ومقاصد تلك السورة ووحدتها الموضوعية.

-تنزيل الآيات على الواقع والالتفات إليه.

-تكميل دراسة الموضوع بما ورد في السنّة.

-تقسيم الموضوع إلى عناصر حسب المنهجية العلمية في البحث العلمي.

-الدراسة المنهجية للموضوع.

-عرض المادة العلمية.

-التقويم.

وبعد النظر في هذه الخطوات يمكن التعديل عليها على النحو التالي:

-تحديد الموضوع واختيار عنوان مناسب له.

-جمع الآيات المتعلقة بالموضوع.

-دراسة الآيات والإحاطة بها تفسيرًا وتأملاً بالعودة إلى أمهات كتب التفسير، وهي مرحلة تحضيرية حتى يتمكن الباحث من استنباط عناصر موضوعه ومن ثم تصنيفها.

-تصنيف الآيات وترتيبها وتقسيمها إلى أبواب وفصول حسب حاجة الموضوع.

وفي هذه المرحلة تبدأ الدراسة التفصيلية للآيات، وتشمل: الدراسة الدلالية والدراسة النصية.

-عرض المادة العلمية، ومن ثم التقويم لمعرفة مدى تحقق ما أراد الباحث من موضوعه.

المطلب الثاني: الموضوعات القرآنية التي تضمنّها تفسير ابن جزي.

ظهر من خلال استقراء تفسير ابن جُزي أنه قد عالج بعض الموضوعات القرآنية بطريقة تقترب من المنهج الذي يُعرف في الدراسات القرآنية المعاصرة بـ)التفسير الموضوعي .(ومع ذلك،

فإن هذا الاتجاه لم يتجلَّ بوضوح في مجمل تفسيره، إذ اقتصر حضوره على مواضع محدودة، أبرزها في سورة البقرة وموضع واحد في سورة آل عمران، وهي من أطول المواضع نسبيًا في تفسيره، الذي يتسم – في الغالب – بالإيجاز والتركيز.

ولعل السبب أن مثل هذه الفوائد قد يُخلّ بمقصد الاختصار الذي هدف إليه المفسر وذكره في المقدمة، فمثل هذه الفوائد أليق بالتفاسير المطولة. وبيان ذلك على النحو التالي:

أولًا: التقوى في القرآن:

وقد ظهر ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢] حيث قال – رحمه الله - ما نصه: "هُدًى" هنا بمعنى الإرشاد لتخصيصه بالمتقين، ولو كان بمعنى البيان لعمّ كقوله: "هُدًى لِلنَّاسِ". وإعرابه: خبر ابتداء، أو مبتدأ وخبره: "فِيهِ"، عندما يقف على "لا رَيْبَ"، أو منصوب على الحال والعامل فيه الإشارة "لِلْمُتَّقِينَ" مفتعلين من التقوى، وقد تقدّم معناه في الكتاب[24]، **فنتكلم عن التقوى في ثلاثة فصول.**

الأوّل: في فضائلها المستنبطة من القرآن، وهي خمس عشرة:

- الهدى كقوله: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢]
- والنصرة، لقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ [النَّحل: ١٢٨]
- والولاية لقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الجَاثِيَة: ١٩]
- والمحبة لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التَّوۡبَة: ٤]
- والمغفرة لقوله: ﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأَنفَال: ٢٩]
- والمخرج من الغمّ والرزق من حيث لا يحتسب لقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطَّلَاق: ٢]

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطَّلَاق: ٤]

-وتيسير الأمور لقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطَّلَاق: ٤]

- وغفران الذنوب وإعظام الأجور لقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا﴾ [الطَّلَاق: ٥]
- وتقبل الأعمال لقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [المَائِـدَة: ٢٧]

- والفلاح لقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٩]
- والبشرى لقوله: ﴿ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ [يُونُس: ٦٤]
- ودخول الجنة لقوله ﴿ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [القَلَم: ٣٤]
- والنجاة من النار لقوله: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ [مَرْيَم: ٧٢]
- **الفصل الثاني: البواعث على التقوى عشرة:**
- خوف العقاب الأخروي.
- وخوف العقاب الدنيوي.
- ورجاء الثواب الدنيوي.
- ورجاء الثواب الأخروي.
- وخوف الحساب.
- والحياء من نظر الله.
- وهو مقام المراقبة.
- والشكر على نعمه بطاعته.
- والعلم لقوله: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فَاطِر: ٢٨]
- وتعظيم جلال الله، وهو مقام الهيبة.
- وصدق المحبة لقول القائل:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقًا لأطعته ... إن المحبّ لمن يحبّ مطيع[25]

ولله درّ القائل:

قالت وقد سألت عن حال عاشقها: ... لله صفه ولا تنقص ولا تزد

فقلت: لو كان يظن الموت من ظمإ ... وقلت: قف عن ورود الماء لم يَرِد[26]

الفصل الثالث: درجات التقوى خمس:

- أن يتقي العبد الكفر، وذلك مقام الإسلام.
- وأن يتقي المعاصي والحرمات وهو مقام التوبة.

- وأن يتقي الشبهات، وهو مقام الورع.
- وأن يتقي المباحات وهو مقام الزهد.
- وأن يتقي حضور غير الله على قلبه، وهو مقام المشاهدة"[27].

وهذا الموضع أول المواضع التي تناول فيها ابن جزي موضوعا قرآنيًا هو "التقوى"، وهو نموذج تطبيقي مصغر للتفسير الموضوعي لموضوع قرآني سلك فيه ابن جزي خطوات قريبة من خطوات دراسة التفسير الموضوعي التي اقترحها المتأخرون، وتوضيح ذلك على النحو التالي:

1.اختار موضوعًا، وحدّد له عنوانًا.

2.بيّن معنى التقوى.

3.جمع الآيات المتصلة بموضوع التقوى، ولم يتناول جميع الآيات المتعلقة بالموضوع.

4.قسّم الآيات وصنّفها بحسب موضوعاته الفرعية.

ثانيًا: صفات بني إسرائيل في القرآن:

تناول هذا الموضوع عند تفسير قوله تعالى ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البَقَرَة: ٤٠] حيث قال ما نصه: "يا بَنِي إِسْرائِيلَ" لمّا قدّم دعوة الناس عمومًا وذكر مبدأهم دعا بني إسرائيل خصوصًا وهم اليهود، وجرى الكلام معهم من هنا إلى حزب "سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ" فتارة دعاهم بالملاطفة وذكر الإنعام عليهم وعلى آبائهم، وتارة بالتخويف، وتارة بإقامة الحجة وتوبيخهم على سوء أعمالهم، وذكر العقوبات التي عاقبهم بها.

فذكر من النعم عليهم عشرة أشياء، وهي:

-﴿ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ [البَقَرَة: ٤٩]

-﴿ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ﴾ [البَقَرَة: ٥٠]

-﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ﴾ [البَقَرَة: ٥٦]

- ﴿ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ﴾ [البَقَرَة: ٥٧]

-﴿وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾ [البَقَرَة: ٥٧]

-﴿ ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم﴾ [البَقَرَة: ٥٢]

-﴿ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البَقَرَة: ٥٤]

-﴿ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡ ﴾ [البَقَرَة: ٥٨]

-﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البَقَرَة: ٥٣]

-﴿ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ [البَقَرَة: ٦٠] ﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ [النِّسَاء: ٤٦]

وذكر من سوء أفعالهم عشرة أشياء:

-قولهم ﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ [النِّسَاء: ٤٦]

-﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ ﴾ [البَقَرَة: ٥١]

-﴿ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [النِّسَاء: ١٥٣]

-﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ [البَقَرَة: ٥٩]

-﴿ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ ﴾ [البَقَرَة: ٦١]

-﴿ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ [البَقَرَة: ٧٥]

-﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ [البَقَرَة: ٦٤]

-﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ [البَقَرَة: ٧٤]

-﴿ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [النِّسَاء: ١٥٥]

-﴿ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ [النِّسَاء: ١٥٥]

وذكر من عقوباتهم عشرة أشياء:

-﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [البَقَرَة: ٦١]

-﴿ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ ﴾ [التَّوْبَة: ٢٩] ﴿ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البَقَرَة: ٥٤]

-﴿ كُونُواْ قِرَدَةً ﴾ [البَقَرَة: ٦٥]

-﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأَعْرَاف: ١٦٢]

-﴿ فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ [البَقَرَة: ٥٥]

-﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾ [المَائِـدَة: ١٣]

-﴿ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ [النِّسَاء: ١٦٠]

وهذا كله جزاء لآبائهم المتقدمين، وخوطب [به] المعاصرون لمحمد ﷺ لأنهم متبعون لهم راضون بأحوالهم، وقد وبّخ المعاندين لمحمد ﷺبتوبيخات أخر، وهي: كتمانهم أمر محمد ﷺ مع معرفتهم به، ويحرّفون الكلم ويقولون هذا من عند الله، وتقتلون أنفسكم، وتخرجون فريقا منكم

من ديارهم، وحرصهم على الحياة وعداوتهم لجبريل واتباعهم للسحر، وقولهم نحن أبناء الله، وقولهم يد الله مغلولة" [28].

رغم أن تفسير ابن جزي مبني على الاختصار إلا أنه جمع آيات في موضوع واحد، ولعله لم يفصّل حتى يتوافق مع الاختصار الذي ذكره في المقدمة.

والملاحظ هنا أنّه اقتصر على ذكر عناوين فرعية دون تقسيمها إلى فصول، ولم يفصّل فيما ذكره من عناوين فرعية، وما ذكره في هذا الموضع يشبه إلى حد ما الخطوات التي يسلكها الباحث المعاصر في التفسير الموضوعي لهذا الموضوع وإن زاد في الترتيب أو عدّل في العناوين الفرعية أو قدّم وأخّر.

ثالثًا: الصبر في القرآن:

وقد عرض لهذا الموضوع عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٣] حيث قال ما نصه: "فائدة: ورد ذكر الصبر من القرآن في أكثر من سبعين موضعًا، وذلك لعظمة موقعه في الدين. قال بعض العلماء: كل الحسنات لها أجر محصور من عشرة أمثالها إلى سبعمئة ضعف إلّا الصبر فإنه لا يحصر أجره، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزُّمَر: ١٠]. وذكر الله **للصابرين ثمانية أنواع من الكرامة**:

أوّلها: المحبة، قال: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٤٦].

والثاني: النّصر قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [البَقَرَة: ١٥٣].

والثالث: غرفات الجنة قال: ﴿ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ [الفُرْقَان: ٧٥]

والرابع: الأجر الجزيل قال: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

والأربعة الأخرى المذكورة في هذه الآية، ففيها البشارة، قال: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [البَقَرَة: ١٥٥]

والصلاة والرحمة والهداية ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البَقَرَة: ١٥٧]

والصابرون على أربعة أوجه:

-صبر على البلاء، وهو منع النفس من التسخيط والهلع والجزع.

-وصبر على النعم وهو تقييدها بالشكر، وعدم الطغيان، وعدم التكبر بها.

-وصبر على الطاعة بالمحافظة والدوام عليها.

-وصبر عن المعاصي بكفّ النفس عنها، وفوق الصبر التسليم وهو ترك الاعتراض والتسخيط ظاهرًا، وترك الكراهة باطنًا، وفوق التسليم: الرضا بالقضاء، وهو سرور النفس بفعل الله وهو صادر عن المحبة، وكل ما يفعل المحبوب محبوب"[29].

ومع أنّ ابن جزي ذكر أنّ الصبر ورد في القرآن سبعين مرة، وهذا الحصر خطوة مهمة في التفسير الموضوعي إلا أنّه لم يتناول الصبر في القرآن الكريم من جميع الجوانب، وإنما اقتصر على جانبين:

الأول: جزاء الصابرين.

والثاني: أنواع الصبر.

ولكن ظهر فيما ذكره خطوات الكتابة في التفسير الموضوعي في هذا الموضوع بشكل عام، وفي الجزء المحدد منه بشكل خاص. ويمكن تناول كل جانب منهما في دراسة علمية مستقلة، ويكون العنوان مثلاً: جزاء الصابرين في القرآن "دراسة موضوعية".

رابعًا: مراتب الناس في التوكل:

وقد عرض لهذا الموضوع عند تفسير قوله تعالى﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٥٩] حيث قال ما نصّه: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ التوكل هو الاعتماد على الله في تحصيل المنافع أو حفظها بعد حصولها، وفي دفع المضرات ورفعها بعد وقوعها، وهو من أعلى المقامات، لوجهين:

أحدهما قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾

والآخر: الضمان الذي في قوله ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطَّلَاق: ٣] ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المَائِـدَة: ٢٣]

وقد يكون واجبًا لقوله تعالى: : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المَائِـدَة: ٢٣] فجعله شرطًا في الإيمان، والظاهر قوله جلّ جلاله، ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٢٢] فإن الأمر محمول على الوجوب.

وأعلم أن الناس في التوكل على ثلاثة مراتب:

الأولى: أن يعتمد العبد على ربه، كاعتماد الإنسان على وكيله المأمون عنده الذي لا يشكّ في نصيحته له، وقيامه بمصالحه.

والثانية: أن يكون العبد مع ربه كالطفل مع أمّه، فإنه لا يعرف سواها، ولا يلجأ إلّا إليها.

والثالثة: أن يكون العبد مع ربه: كالميت بين يدي الغاسل، قد أسلم نفسه إليه بالكلية.

فصاحب الدرجة الأولى له حظ من النظر لنفسه، بخلاف صاحب الثانية، وصاحب الثانية له حظ من المراد والاختيار بخلاف صاحب الثالثة. وهذه الدرجات مبنيّة على التوحيد الخاص الذي تكلمنا عليه في قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ [البَقَرَة: ١٦٣] فهي تقوى بقوته، وتضعف بضعفه، فإن قيل: هل يشترط في التوكل ترك الأسباب أم لا؟ فالجواب: أن الأسباب على ثلاثة أقسام:

أحدهما: سبب معلوم قطعًا قد أجراه الله تعالى: فهذا لا يجوز تركه: كالأكل لدفع الجوع، واللباس لدفع البرد.

والثاني: سبب مظنون: كالتجارة وطلب المعاش، وشبه ذلك، فهذا لا يقدم فعله في التوكل لأن التوكل من أعمال القلب، لا من أعمال البدن، ويجوز تركه لمن قوي عليه.

والثالث: سبب موهوم بعيد، فهذا يقدم فعله في التوكل، إن فوق التوكل التفويض وهو الاستسلام لأمر الله تعالى بالكلية، فإن المتوكل له مراد واختيار، وهو يطلب مراده باعتماده على ربه، وأما المفوض فليس له مراد ولا اختيار، بل أسند المراد والاختيار إلى الله تعالى، فهو أكمل أدبًا مع الله تعالى"[30].

والملاحظ هنا أنّ ابن جزي لم يُشِر إلى موضوع التوكل في القرآن الكريم وإنما اقتصر على فرع من فروعه، وهو مراتب الناس في التوكل.

وهو بهذا يفتقر إلى أغلب خطوات التفسير الموضوعي للموضوع القرآني، فلم يذكر الآيات المتعلقة بكل مرتبة من المراتب التي ذكرها، ولعلّ السبب في عدم ذكرها عدم وجود آيات صريحة في هذه المراتب.

يتضح من كل ما سبق أنّ ابن جزي سلك خطوات تشبه إلى حدّ كبير خطوات الكتابة فيما عُرف في الوقت الحاضر بالتفسير الموضوعي للموضوع القرآني، من حيث اختيار الموضوع، وجمع الآيات، وتقسيمها إلى موضوعات فرعية؛ يُستثنى من ذلك الموضوع الثالث حيث ذكر الفروع ولم يذكر الآيات المندرجة تحتها، ولعلّ عذره في ذلك أنّه لم يقصد مما كتبه ما قصده المعاصرون من مصطلح التفسير الموضوعي.

وإن كان لبعض المتقدمين كإبن برّجان والرازي السبق في ذكر الآيات ذات الموضوع الواحد، إلا أنها تفتقر إلى كثير من خطوات الكتابة في التفسير الموضوعي، ولعل الأمثلة عند ابن جزي أكثر وضوحًا ونضوجًا، وأقرب إلى خطوات التفسير الموضوعي المعاصر.

المطلب الثالث: المقارنة بين منهجية البحث في التفسير الموضوعي المعاصر، وما جاء عند ابن جزي.

من خلال النماذج التي تم رصدها في كتاب التسهيل - على قلّتها – يمكن القول بأنها أقرب إلى ما كُتب في التفسير الموضوعي للموضوع القرآني من حيث العنوان والتقسيم وتصنيف الآيات، وللتأكيد على ذلك يمكن عمل مقارنة بين ما كتبه ابن جزي وبين الخطوات المنهجية المعاصرة لذات الموضوع لمعرفة مدى تطابق ما جاء عنده مع ما وصل إليه التفسير الموضوعي في العصر الحاضر.

ويمكن تطبيق هذه المقارنة على موضوع التقوى والصبر، كمثال توضيحي.

أولا: موضوع التقوى في القرآن.

- الخطوات التي سلكها ابن جزي:

-حدد الموضوع ووضع له عنوانًا، وهو التقوى.

-عرّف التقوى لغة واصطلاحًا.

-جمع الآيات المتعلقة بالتقوى في القرآن.

-صنفها إلى ثلاثة فصول واستنبط عناوين فرعية لكل مجموعة.

ولكنه لم يفصل ولم يربط بين الآيات ولم يدرسها دراسة دلالية ونصية، كما أنه لم يستقص كل المواضع التي تناولت التقوى في القرآن؛ ربما لأن تفسيره مبني على الاختصار.

- الخطوات التي سلكها المعاصرون:

بعد الاطلاع على عدد من الدراسات المعاصرة التي تتعلق بموضوع التقوى في القرآن، دراسة موضوعية[31]، تم تحديد "التقوى في القرآن الكريم: مقوماتها ووسائلها – دراسة موضوعية، للباحث مومني مصطفى" لإجراء المقارنة بينها وبين ما كتبه ابن جزي، فكان ما يلي:

-تحديد الموضوع واختيار عنوان مناسب.

-جمع الآيات المتعلقة بالتقوى.

-الدراسة الدلالية لكلمة التقوى من حيث تعريفها لغة واصطلاحًا وفي الاصطلاح القرآني.

-الدراسة النصية، وتصنيف الآيات وترتيبها وتقسيمها إلى أبواب وفصول ومباحث. ووضع عناوين لها.

ومن العناوين التي تناولتها هذه الدراسة ما يلي:

المبحث الأول: مفهوم التقوى في القرآن الكريم.

-تعريف التقوى.

-مادة التقوى في القرآن الكريم.

-منزلة التقوى في القرآن الكريم.

-ثمرات التقوى في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: مقومات التقوى في القرآن الكريم.

-العلم النافع.

-محاسبة النفس.

-شكر الله وتعظيم شعائره.

-الاتباع والاجتماع.

المبحث الثالث: وسائل التقوى في القرآن الكريم.

-الوسائل العقدية للتقوى.

-الوسائل التعبدية للتقوى.

-الوسائل السلوكية للتقوى..

الخاتمة وهي آخر الخطوات التي تُبرز آخر ما توصّل إليه الباحث.

يظهر من خلال ما تقدم:

الاتفاق فيما يلي:

-ذكر العنوان.

- الدراسة الدلالية لكلمة التقوى من حيث تعريفها لغة واصطلاحًا وفي الاصطلاح القرآني.

-جمع الآيات المتعلقة بالموضوع وتصنيف الآيات وتقسيمها إلى فصول وترتيبها تحت عناوين.

-الاتفاق في الموضوعات الأساسية.

والاختلاف فيما يلي:

-الاختلاف في الموضوعات الفرعية. والسبب في ذلك الاستقراء الكلي عند المعاصرين، والاستقراء الجزئي عند ابن جزي. مما يفقده خطوة مهمة من خطوات البحث في الموضوع القرآني.

-ابن جزي قسّم التقوى إلى ثلاثة فصول، بينما الدراسة الحديثة قسمته إلى مباحث ومطالب. وغيره قسمها إلى أبواب وفصول ومباحث ومطالب.

-حصر عدد ورود التقوى في القرآن ب (243) مع ذكر صيغ ووردها واشتقاقاتها، وهو ما لم يذكره ابن جزي.

-الاهتمام بالتفاصيل والدراسة الدلالية والنّصية عند المعاصرين ظاهر وواضح.

-الاهتمام بعمل خاتمة للدراسة عند المعاصرين حيث تظهر أهم نتائج البحث وخلاصتها عند الباحث، وعدم وجودها عند ابن جزي.

ثانيا: موضوع الصبر في القرآن:

- الخطوات التي سلكها ابن جزي:

-حصر عدد ورود الصبر في القرآن بسبعين مرة، وهذا الاستقصاء خطوة مهمة من خطوات التفسير الموضوعي.

-لم يحدد ابن جزي عنوانًا لموضوع الصبر، ولم يعرّفه لغة واصطلاحًا كما فعل في موضوع التقوى.

-اقتصر على جانبين من جوانب الصبر فقط، ولكن خطواته مشابهة إلى حد ما خطوات الكتابة في التفسير الموضوعي للموضوع القرآني.

- لم يقسم موضوعه إلى فصول كما فعل في موضوع التقوى.

- الخطوات التي سلكها الكتّاب المعاصرون:

بعد الاطلاع على عدد من الدراسات المعاصرة التي تتعلق بموضوع الصبر في القرآن، دراسة موضوعية[32] تمّ تحديد دراسة "من التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، الصبر في القرآن" للدكتور يوسف القرضاوي، لإجراء المقارنة بينها وبين ما كتبه ابن جزي، فكان ما يلي:

- تحديد الموضوع واختيار عنوان مناسب.
- جمع الآيات المتعلقة بالصبر.
- الدراسة الدلالية لكلمة الصبر من حيث تعريفها لغة واصطلاحًا وفي الاصطلاح القرآني.
- الدراسة النصية، وتصنيف الآيات وترتيبها وتقسيمها إلى فصول ومطالب. ووضع عناوين لها.

ومن العناوين التي تناولتها هذه الدراسة ما يلي:

الفصل الأول: حقيقة الصبر في القرآن وضرورته.

- كم ذكر الصبر في القرآن؟
- أنواع الصبر في القرآن.
- الصبر خصيصة إنسانية.
- ضرورة الصبر.
- أوامر الله لرسوله بالصبر.

- حكم الصبر.
- الباعث على الصبر.
- المؤمن مأمور بالمصابرة بعد الصبر.
- الصبر المحمود ما كان في أوانه.

الفصل الثاني: مجالات الصبر في القرآن.

- صبر على بلاء الدنيا.
- صبر على مشتهيات النفس.
- صبر على طاعة الله.
- صبر على مشاقّ الدعوة إلى الله.
- صبر حين البأس.
- صبر في مجالات العلاقات الإنسانية.

الفصل الثالث: منزلة الصبر والصابرين في القرآن.

- اقتران الصبر بالقيم الروحية في الإسلام.
- مكانة الصابرين وموضعهم في أهل الإيمان.
- ترتيب خيرات الدنيا والآخرة على الصبر.

الفصل الرابع: شخصيات صابرة ذكرها القرآن.

- أيوب.
- يعقوب
- يوسف
- صبر الذبيح إسماعيل.
- صبر أولي العزم من الرسل.

الفصل الخامس: ما يعين على الصبر في القرآن.

- معرفة طبيعة الحياة الدنيا.
- معرفة الإنسان بنفسه.
- اليقين بحسن الجزاء عند الله.
- اليقين بالفرج.
- الاستعانة بالله.
- الاقتداء بأهل الصبر والعزائم.
- الإيمان بقدر الله وسننه.
- الحذر من الآفات العائقة عن الصبر.

الخاتمة.

يظهر من خلال ما تقدم:

الاتفاق فيما يلي:

- الاتفاق في حصر ورود الصبر في القرآن.
- الاتفاق في بعض العناوين الفرعية.

والاختلاف فيما يلي:

- حصر ابن جزي ورود لفظ الصبر في القرآن بسبعين موضعًا، وحصرته دراسة القرضاوي بما ورد في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بمئة وبضع مرات.
- لم يعرف ابن جزي مفهوم الصبر لغة واصطلاحًا، بينما عّرفته الدراسة المعاصرة.
- لم يقسم ابن جزي موضوع الصبر إلى فصول، واكتفى بتناول جانبين من جوانب الصبر، وقسّمته الدراسة المعاصرة إلى فصول ومباحث.

ولا بد من الأخذ بعين الاعتبار أن الدراسة المعاصرة مستقلة وقريبة من التفصيل، أما دراسة ابن جزي فليست كذلك، وإنما هي متوافقة مع ما ذكره من ميله إلى الاختصار.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد؛ فبعد اكتمال هذه الدراسة، يمكن ذكر ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات، وذلك على النحو التالي:

أولا: النتائج:

- عاش ابن جُزَي في القرن الثامن وقدم تفسيرًا كاملًا للقرآن الكريم، تميّز بعدة مزايا، منها مقدمته التي تناول فيها مباحث من علوم القرآن وأصول التفسير، بالإضافة إلى ذكره عددًا من الموضوعات القرآنية التي تُقارب منهج التفسير الموضوعي المعاصر.
- لم يتفق الباحثون على تعريف للتفسير الموضوعي، ويمكن تعريفه بأنه :الكشف الكلي عن مراد الله تعالى في قضية قرآنية، ضمن سورة واحدة أو أكثر، بحسب الطاقة البشرية.
- إنّ عدم وضوح المنهجية في التفسير الموضوعي عند السابقين لا تعني البتة أنهم لم يعرفوا هذا العلم ولم يطبقوه، والفكرة في أذهانهم متبلورة ولكنها غير واضحة، وكل بداية لا تكون منضبطة.
- ما كتبه ابن جزي في التفسير الموضوعي كان مجملاً ولم يكن مفصلاً ومقسّمًا وممنهجًا بمفهومه المعاصر، وعذره في ذلك أن تفسيره مبني على الاختصار.
- ظهرت بذور التفسير الموضوعي عند بعض المفسرين المتقدمين، كابن برّجان والرازي وغيرهما من خلال ذكر الآيات ذات الموضوع الواحد، غير أنها كانت تفتقر إلى خطوات الكتابة في التفسير الموضوعي المعاصر.

- بالمقارنة بين ما أورده ابن جُزَي وما جاء عند من سبقه من المفسرين ممن جمعوا آيات تدور حول موضوع واحد، يتبين أنه يُعدّ من أوائل من قاربوا منهج التفسير الموضوعي؛ إذ تميّز بجمع الآيات المتعلقة بالموضوع وتقسيمها تحت عنوان واضح، كما في تناوله لموضوعات :التقوى، الصبر، التوكل، وصفات بني إسرائيل .ولذلك يُعدّ نموذج ابن جُزَي في تفسيره من أوضح النماذج وأقربها إلى التفسير الموضوعي في صورته المعاصرة.
- اتفق ابن جزي مع المتأخرين ممن كتبوا في التفسير الموضوعي في عدّة أمور، منها:

-الاتفاق في الموضوعات الأساسية.

-اختيار الموضوع ووضع عنوان له.

-التعريف بالمصطلح.

-جمع الآيات المتعلقة بالموضوع، وتصنيفها إلى فصول، واستنباط عناوين فرعية لكل مجموعة.

- واختلفوا في عدة أمور منها:

-الاختلاف في الموضوعات الفرعية. والسبب في ذلك الاستقراء الكلي عند المعاصرين، والاستقراء الجزئي عند ابن جزي. مما يفقده خطوة مهمة من خطوات البحث في الموضوع القرآني.

-التقسيم عند ابن جزي إلى فصول، وعند المتأخرين إلى أبواب وفصول ومباحث ومطالب.

-لم يستقص ابن جزي كل المواضع التي تناولت موضوعه الذي اختاره، بينما الدراسات الحديثة استقصت كل المواضع.

-لم يفصل ابن جزي ولم يربط بين الآيات ولم يدرسها دراسة دلالية ونصية، بينما دراسات المعاصرين فصلّت ودرست الآيات دراسة دلالية ونصية.

-الاهتمام بالخاتمة عند المعاصرين، وهو ما لم يفعله ابن جزي.

ثانيا: التوصيات:

توصي الدراسة بالبحث في أمّات كتب التفاسير عن نماذج أخرى للتفسير الموضوعي، إذ ربما نجد من سبق ابن جزي في هذا المنهج، وربما نجد من جاء بعده.

الهوامش:

.

1 على عبد الله علّان، تاريخ منهجية التفسير الموضوعي للموضوع القرآني بين الإجمال والتفصيل، **المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية**، جامعة آل البيت، مج (16)، (ع 4)، 2020م.

2 ينظر في ترجمته: عادل نويهض (ت 1996م)، **معجم المفسرين "من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر"**، لبنان، مؤسسة نويهض الثقافية، 1409هـ - 1988(ط3)، ج1، ص481.

محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي (ت 741هـ/ 1340م)، مقدمة: **الوصول إلى علم الأصول**، تحقيق: د. محمد المختار بن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، 1423هـ - 2002م (ط2)، ص 23-50.

محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (ت 945هـ/ 1538م)، **طبقات المفسرين للداوودي**، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت)، ج2، ص 85.

أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن أحمد الشهير بابن حجر العسقلاني (ت 852هـ/ 1449م)، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، الهند، دائرة المعارف العثمانية، 1972م (ط2)، ج 5، ص 89.

3 يوم الكائنة أو معركة طريف، وهي معركة نشبت في الأندلس عام 741هـ بين المسلمين الأندلسيين والمرينيين القادمين من عدوة المغرب من جهة، وجيوش مملكة قشتالة ومملكة البرتغال من جهة أخرى، وانتصر فيها الروم على المسلمين. انظر: محمد عبد الله عنان (ت1406هـ/ 1986م)، **دولة الإسلام في الأندلس: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1997م، ص127.

4 سليمان محمد الدقور، أمينة العزازمة، أثر السياق القرآني في الكشف عن المعاني عند ابن جزي الكلبي، **المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية**، مج (15)، ع (2)، 1440هـ - 2019م، ص 290.

5 للمزيد حول منهجه ينظر: محمد علي الزغول، منهج ابن جزي في تفسيره التسهيل، **مؤتة للبحوث والدراسات**، مج (15)، ع (1)، 2000م. محمد علي الزبيري، **ابن جزي ومنهجه في التفسير**، دار القلم – دمشق، ط1، 1987م.

6 الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502هـ/ 1108م)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية، 1412هـ (ط1)، ص 636.

7 محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى (ت711هـ/ 1311م)، **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، 1414هـ (ط3)، (مادة: فسر)، ج5، ص 55.

8 محمد عبد العظيم الزرقاني (ت 1367هـ/ 1948)، **مناهل العرفان في علوم القران**، مطبعة عيسى البابي الحلبي، (د.ت) (ط3)، ج2، ص3. عبد الستار فتح الله سعيد، **المدخل إلى التفسير الموضوعي**، دمشق، دار القلم، 1430هـ - 2009م (ط2)، ص 17.

9 أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت 395هـ/1004م)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م، ج 6، ص 117.

10 انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج 8، ص 104.

11 انظر: عبد الستار فتح الله سعيد، **المدخل إلى التفسير الموضوعي**، ط 2 (1430هـ - 2009م)، دار القلم، دمشق. ص 23. وقد تابعه على ذلك مصطفى محمد مسلم (ت 1442هـ/ 2021م)، **مباحث في التفسير الموضوعي**، دمشق، دار القلم، 1430هـ - 2009م (ط7)، ص 15.

12 زاهر عواض الألمعي، **دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، الرياض، مطابع الفرزدق، 1985م، ص 7.

13 عبد الستار فتح الله، **المدخل إلى التفسير الموضوعي**، ص 33.

14 عبد المتعال الجبري (ت 1415هـ/ 1995م)، **الضالون كما صورهم القرآن الكريم**، القاهرة، مكتبة وهبة، 1984م (ط2)، ص 286.

15 مصطفى مسلم، **مباحث في التفسير الموضوعي**، ص 16.

16 محمد بن عبد العزيز الخضيري، **مقدمة في التفسير الموضوعي**، مجلة البيان، ع (94)، 1993ص 3.

17 زياد خليل الدغامين، **منهجية البحث في التفسير الموضوعي**، الأردن، دار البشير، 1995م، ص14.

18 سليمان الدقور، التفسير الموضوعي، إشكالية المفهوم والمنهج، دراسات: **علوم الشريعة والقانون**، م (41)، ع (1)، 2014م، ص 14.

19 سامر عبد الرحمن رشواني، **منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم – دراسة نقدية**، سوريا، دار الملتقى، 2009م، (ط1)، ص 45.

20 جهاد محمد فيصل النصيرات، التفسير الموضوعي وإشكالات البحث في المفاهيم والمصطلحات القرآنية، **مجلة دراسات: علوم الشريعة والقانون**، م (40)، ع (1)، 2013م.

21 سامر رشواني، **منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم – دراسة نقدية**، ص 45.

22 علي علان، منهج التفسير الموضوعي للموضوع القرآني، ص 224.

23 انظر بتصرف: علي علان، منهج التفسير الموضوعي للموضوع القرآني، ص 232.

24 وقد تقدّم معنى التقوى في مقدمة كتابه.

25 والبيتان لعبد الله ابن المبارك، أوردهما علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر بإسناده في **"تاريخ مدينة دمشق"**، تحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، 1995م، ج 22، ص 469. وانظر ديوان ابن المبارك، جمع وتحقيق ودراسة: د. مجاهد مصطفى بهجت.

26 والبيتان لأبي القاسم أحمد بن محمد بن إسماعيل بن طباطبا، انظر: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، تحقيق: مفيد محمد قمحية، لبنان، دار الكتب العلمية، 1983، (ط1)، ج1، ص 498. أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان، **وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1900م، ج1، ص 129. ولفظ البيتين من المصادر هكذا:

قالت لطيفِ خيالٍ زارني ومضى بالله صفْه ولا تنقُص ولا تزِدِ

فقال: أبصرتُه لو مات من ظمإٍ وقلتِ: قفْ عن وُرود الماءِ: لم يَرِدِ

27 محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي ت 741هـ/ 1340م)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، لبنان، دار الأرقم، 1416هـ (ط1)، ج1، ص69.

28 ابن جزي، **التسهيل**، ج1، ص 80 -81.

29 ابن جزي، **التسهيل**، ج1، ص 103.

30 ابن جزي، **التسهيل**، ج1، ص 169 -170.

31 انظر: مومني مصطفى، **التقوى في القرآن الكريم: مقوماتها ووسائلها – دراسة موضوعية**، رسالة ماجستير، جامعة أحمد دراية، الجزائر، 2023م. نبيل محمد زهور، **التقوى في القرآن، تفسير موضوعي**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2008م. محمد الدبيسي، **التقوى في القرآن، دراسة في التفسير الموضوعي**، دار الكتب المصرية، (ط1)، 2008م.

32 انظر: يوسف القرضاوي (ت 1444هـ/ 2022م)، **من التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، الصبر في القرآن**، (ط3)، مصر، مكتبة وهبة، مصر، 1989م.